جهود القدامى العرب
في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة

د/ نجلاء محفوظ محمد العبسي

مدرس أصول اللغة في كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات

فرع جامعة الأزهر فرع الإسكندرية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه

أما بعـــــد .....

ليس القصد من هذا البحث المقارنة التفصيلية بين نظريات علم اللغة الحديث، وما توصل إليه علماء اللغة العرب القدماء الأوائل من معارف في اللغة وعلومها؛ ــ فالمعارف تكتسب من خلال تقدم العلم، وتراكم الخبرات المعرفية،وتطور وسائل البحث عبر الزمن ــ ولا المقارنة بين علماء اللسانيات الحديثة ــ من أمثال: نعوم تشومسكي، وفرديناتند دي سوسير، وديكارت وغيرهم ــ وبين اللغويين العرب القدامى من أمثال: ابن جني، وسيبويه، والخليل، والجرجاني وغيرهم؛ وإنما قصدت من هذا البحث الإشارة إلى جهود علماء العرب القدامى، والوقوف على مقدرتهم، وقدرتهم الفائقة على النفاذ إلى دقائق مسائل اللغة، ووعيهم لكثير من الدراسات اللسانية الحديثة ومقاربة قضايا هي من صميم اختصاص علم اللغة الحديث، كما قصدت أن أؤكد أن العربية كانت ـ وما زالت ــ لها موارد شتى في أعمال الرُّواد، والكتب الأمهات، والمدارس اللسانية المتعاقبة؛ ونتيجة لهذا الأثر بدأ توجُّه جديد يهتّم حيث البحث في تاريخ النَّحو العربيّ.فضلاً إسقاط بعض المفاهيم والأخطاء الشائعة من أصحاب اللسانيات الحديثة،التي تحاول أن تقلِّص من جهود القدامى العرب؛ للوصول إلى حقيقة مفادها، أن التُّراث العربيّ القديم في مجال الدراسات اللسانية ملئ بكثير من المفاهيم التي سبقوا فيها الغرب بشكل واضح ومنهجيّ ، كم أردت أن أردَّ على من اتَّهم ــ من الغربيين ـ العرب القدامى بخلو دراساتهم من الملاحظة والمنهجية، وأن التُّراث في مجال اللسانيات الحديثة إمَّا معطيات موصوفة أو مفاهيم وصفيَّة، أو أصول وتأملات.

ويسعى البحث إلى تقديم صورة إجمالية للجهود اللسانية التي قام بها اللغويون العرب القدامى بشيء من الإيجاز والتلخيص مع وصف وتحليل لها.

كما قصدت التأكيد على ما أشار إليه علماء اللغة الحديث من أن الموروث اللساني العربيّ فيه إشارات واضحة إلى كثير من القضايا اللغوية العامة التي لم تدركها اللسانياتُ الغربية إلا منذ قرن من الزمن على أبعد تقدير.

وبما أن الوصف هو عماد الدراسات اللغوية الحديثة؛ فقد اعتمد البحث المنهج الوصفي االاستقرائي من خلال ما تم استقراؤه من بعض القضايا اللغوية المتنوعة **(دلالية، وصوتية ، ونحوية)** لدى اللغويين العرب القدامى، وما يقابله من قضايا لغوية في الدري اللساني المعاصر.

ولقد قسمت بحثي إلى: مقدمة ، وثلاثة مباحث وخاتمة .....

أما المقدمة فعرضت فيها سبب اختياري الموضوع، والصعوبات التي واجهتني، وهذه الصعوبات لا تخرج في مجملها عن تلك التي يمكن أن يلقاها أيُّ باحث والتي تتمثل في صعوبة البحث والتنقيب والجمع لبعض القضايا اللغوية للعرب القدامى ذات الصلة بالدراسات اللسانية الحديثة،لإجراء مقارنة بينها وبين الأفكار السائدة في الفكر الحديث.

المبحث الأول: ما يتعلق بقضايا لغوية عامة، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف اللغة،ووظيفتها.

المطلب الثاني: نظريات نشأة اللغة.

المطلب الثالث: اللغة والكلام

المبحث الثاني: ما يتعلق بقضايا دلالية، ويشتمل على ستة مطالب.

المطلب الأول: الرمز والمعنى.

المطلب الثاني: الترتيب الزمني للفظ والمعنى.

المطلب الثالث: الترتيب الجمالي للفظ والمعنى.

المطلب الرابع: العلاقة بين اللفظ والمعنى.

المطلب الخامس:نظرية السياق

المطلب السادس:أثر الصوت،والنغمة،ولغة الجسد على التعبير.

المبحث الثالث: ما يتعلق بقضايا صوتية وتشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول: نظرية الحركات أبعاض حروف المد.

المطلب الثاني:كيفية خروج الصوت.

المطلب الثالث: مصطلح علم الأصوات.

المطلب الرابع: الفرق بين الصوت والحرف

المبحث الرابع: ما يتعلق بقضايا نحوية، وتشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: النحو التحويلي والتوليدي.

المطلب الثاني: نظرية العامل النحوي.

ثم ختمت بحثي بأهم النتائج التي توصلت إليها وأهم المصادر والمراجع.

هذا وما ذكرته مجرد إشارات من مزجي البضاعة، وأسأل الله عز وجل أن يغفر لي ما فيها من خطأ أو نسيان، وأن يجزي خيراً من بيَّن لي عيباً، أو سدَّ خللاً، أو أاكمل نقصاً، كما أسأله ـ سبحانه ـ أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم، موجباً لرضوانه العظيم.

المبحث الأول

ما يتعلق بقضايا لغوية عامة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف اللغة ووظيفتها.

ففي تعريف ابن جني(ت ٣٩٢هـ) للغة بعبارته: " حدُّ اللغة أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم " [١]، ووافقه في ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب[٢]

فلم يقل اللغة كلمات، أو ألفاظ، فالأصوات أشمل وأعم، وهو المصطلح الذي استعمله اللغويون المحدثون.

ويقول ابن خلدون (ت١٤٠٦م) في تعريف اللغة: " هي ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد " [٣] فابن خلدون يراها ملكة في اللسان، يستطيع الإنسان أن يمارسها، وبالمران والدربة، والممارسة يكون ناطقاً للغة.

أيضاً قول ابن جني " يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " فهو تقرير للوظيفة الاجتماعية، والمعرفية والتواصلية للغة، التي اتضحت من خلال عبارة " قوم "، وهي تعادل لفظ " مجتمع ".

ويعرِّف اللغة ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) بأنها:" عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام ". [٤]

بل ولم يقف ابن خلدون عند هذا الحد، بل ربط بين اللغة والخط على أن الاثنين يحتاجان إلى المران والدّربة؛ إذ إن الملكة موجودة عند الجميع..

ولقد عبَّر " فندريس (ت ١٣٨٠هـ) " عن علاقة اللغة بالمجتمع بقوله: "... في أحضان المجتمع تكونت اللغة.....) [٥]

---

(١) ينظر: الخصائص لابن جني ١ / ٤٣ تحقيق محمد علي النجار

(٢) راجع: لسان العرب ٢/ ١١٨، والقاموس المحيط ٤/ ٣٨٦

(٣) ينظر: مقدمة ابن خلدون تحقيق عبد الواحد وافي ص ١٢٥٢ ط الثانية القاهرة ١٩٦٧

(٤) ينظر: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ٤٣ ط الثانية الخانجي ١٩٩٤م

(٥) ينظر اللغة لفندريس ص٣٥ تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص

ـ وهذا " أولمان " الذي يُعَرِّف اللُّغة بأنها " نظامٌ من رموز صوتية مخزونة في أذهان أفراد الجماعة اللغوية " (١)

ـ وهذا " سابير " يعرف اللُّغة أيضاً بأنها:" وسيلة إنسانية... لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية "(٢)

ـ ويعرف " فرديناند دي سوسير(ت ١٨١٣م) اللغة بقوله: " اللغة نظام من العلامات يرتبط بعضها ببعض....." (٣)" وفي سياق آخر عرّفها قائلاً:

" هي نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكِّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة "(٤)

ويعرِّف " إدوارد سابير(ت ١٩٣٩م) " اللغة ـ أيضاً ـ بأنّها " ظاهرةٌ إنسانيةٌ وغير غريزية؛ لتوصيل العواطف والأفكار، والرغبات بواسطة نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية ".(٥)

فإدراك ابن جني لصوتية اللغة يتفق مع ما جاء به المحدثون من الغرب من تحديد اللغة بأنها رموز أو علامات رمزية ذات دلالة معينة.

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة ستيفان أولمان ترجمة د. كمال بشر ص٢٣ القاهرة ١٩٦٢

(٢) ينظر: علم اللغة، وفقه اللغة د. عبد العزيز مطر ص ١٣ دار قطري بن الفجاءة الدوحة ١٩٨٥م

(٣) ينظر اتجاهات البحث اللساني ميلكا إفيش ص٢١٨ ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل ط الثانية

(٤) ينظر: دروس في الألسنية العامة ترجمة محمد الشاوس إشراف صالح القرمادي ص ٢٩ الدار العربية للكتاب ١٩٨٥م

(٥) ينظر: مقدمة لدراسة علم اللغة د. حلمي خليل ص ٢٣ ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩م

المطلب الثاني: نظريات نشأة اللغة:

انتقل العلماء العرب ـ قديماً ـ ما بين فقهاء العربية، وعلماء الاجتماع، والفلسفة، والمفسرين إلى مسألة كانت مثار جدل ونقاش بينهم، وهي مسألة نشأة اللغة الإنسانية الأولى، مما آثر بعضهم وجوب غلق هذا الباب عن الحديث فيه؛ حيث قامت الجمعية اللغوية بباريس بإغلاق باب المناقشة في هذا الموضوع(١)، وقد تناوله فيرث (ت ١٩٦٠م) باختصار، على سبيل أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية، التي قد يكون من المفيد إلمام طالب علم اللغة بها(٢).

والواقع أن ما ذهب إليه العلماء الغرب من وجوب غلق هذا الباب، وعدم طرقه مسبوقاً لدى بعض باحثي العرب.

يقول السيوطي في مزهره(ت ٩١١هـ): " قال في رفع الحاجب: الصحيح عندي أنه لا فائدة من هذه المسألة وهو ما صححه ابن الأنباري. ولذلك قيل. ذكرها في الأصول فضول..... " (٣)

، ومن هذه النظريات نظرية (المحاكاة أ صوات الطبيعة و الأشياء) وتسمى هذه النظرية عند المعاصرين بـ The bow woney

وكان ابن جني ورفاقه قد اهتدوا لهذه النظرية فنجده يقول:" ذهب بعضهم إلى أنَّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل "(٤)

(١) ينظر: قضايا لغوية د. كمال بشر ص١١٢ القاهرة ١٩٦٣م ، لغات البشر لـ ماريو باي ص٢٠

(٢) ينظر: قضايا لغوية د. كمال بشر ص ١١٢

(٣) ينظر: المزهر ١ / ٢٦ ط الحلبي

(٤) ينظر: الخصائص ١ / ٤٦، ٤٧

المطلب الثالث
اللغة والكلام

قد فرّق " دي سوسير "بين اللغة واللسان والكلام، وعدَّ اللسان Langue مختلفاً عن اللغة Langage ، والكلام Parole، ولكنه يقع ضمن اللغة.

يرى دي سوسير أن اللغة " نظام من العلامات "[١]، فهي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنسانيّ، والتي تدركها الأذن.

فاللغة عنده هي مجموعة القواعد والضوابط المخزونة في ذهن الجماعة، أصحاب اللغة، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون سمعية، أو بصرية، أو لمسية أو شمية، أو مذاقية[٢]، فهو يرى ان كل ما يمكن أن يدخل في النشاط اللغوي من رمز صوتي أو كتابي أو إشارة أو اصطلاح فهو لغة، فدي سوسير ينظر إلى اللغة على أنها صورة [٣] فهي وظيفة عضوية،إنسانية اجتماعية بيولوجية موروثة.

واللغة عنده أيضاً" هي نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الكلمة "[٤]

وهذا يتفق مع قول ابن جني في تعريفه لحدّ اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم "[٥] أما الكلام فهي وظيفة إنسانية "غير غريزية "، ووظيفة " مكتسبة " [٦]

---

(١) Systeme de signes

(٢) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران ص ٥ دار النهضة العربية

(٣) Sommerfelt ;op.cit

(٤) ينظر: علم اللغة العام لـ فرديناند دي سوسير ص ٢٧ ترجمة د. يونيل يوسف عزيز مراجعة النص العربي: د. مالك يوسف المطلبي سنة ١٩٨٥ م سلسلة كتب شهرية تصدر عن دارأفاق عربية ط ٣

(٥) Non- Instinctive

(٦) Acquired

فالكلام نشاط إنساني يختلف من مجتمع لآخر؛ لأنه ميراث تاريخي محض للجماعة؛ ولأنه نتاج الاستعمال الاجتماعي الذي استمر زمناً طويلاً. (١)

فالكلام "عمل فردي، وهو عقلي مقصود، وينبغي أن نميز ضمن هذا الفعل بين الارتباطات التي يستخدمها المتكلم حين يستعمل اللغة (الشفرة اللغوية) للتعبير عن فكره والعملية السايكوفيزياوية التي تساعد الفرد على إظهار هذه الارتباطات بمظهرها الخارجي "(٢)

ومجمل القول أن "دي سوسير " جعل اللغة في الجانب النظري، والكلام في الجانب التطبيقي، ولقد أدرك اللغويون العرب هذا الفرق؛ حينما أطلق الجرجاني على اللغة مصطلح (علم اللغة) وعلى الكلام مصطلح (الوضع اللغوي)، فنجده يقول:" واعلم أنا لم نوجب المزيّة من أجل العلم بأنفس الفروق، والوجوه، فنستند إلى اللغة، ولكنا أوجبناها للعلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ،و"ثمَّ" به بشرط التراخي و" أن " لكذا و" إذا " لكذا، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعراً وألّفت رسالةً أن تحسن التخيّر وأن تعرف لكلّ من ذلك موضعه"(٣).

(١) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص٥٧

(٢) ينظر: علم اللغة العام ص ٣٢

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني ١ / ١٦٥ تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ط الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م

المبحث الثاني
ما يتعلق بقضايا دلالية

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الرمز والمعنى

قد ذهب " دي سوسير "إلى أن هناك رابطاً بين الصورة الذهنية، والصورة الصوتية، ويقصد بالصورة الصوتية الصورة السيكلوجية أي النفسية للصوت، أي الانطباع أو الأثر الذي تتركه الحواس.. فهو يرى أن الرموز اللغوية لها جانبان:

ـ الفكرة أو الصورة الذهنية.

ـ الصورة الصوتية، وكلاهما ذهنيّ، وبينما ترمز الفكرة إلى شيء في العالم الخارجيّ، ترمز الصورة الصوتية إلى لفظ من ألفاظ الكلام ويصبح معنى الرمز اللغوي حينئذ هو الرابطة بين الفكر والصورة الصوتية، وفي هذا نجده يقول: "الإشارة اللغوية (الألفاظ) تربط بين الفكرة (الصورة الذهنية) والصورة الصوتية (أي صورة الألفاظ المختزنة في الذهن)، وليس بين الشيء أيّ (الماهيات الخارجية والتسمية)[١] فاللغة تحتوي على علامات صوتية، وكل علامة لها (مدلول) هو المتصوّر الذهنيّ أو الفكرة، أو مجموعة الأفكار التي تقترن بـ (الدَّال). والدَّال هو: الأثر النفسيّ الذي يحدثه الصوت في الذهن[٢]

فما ذهب إليه " دي سوسير " في مطلع القرن العشرين، لم يبعد – كثيراً – عما ذهب إليه الرازي (ت ٦٠٦هـ) بأن الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنيّة، أيّ الصورة التي تصورها الواضع في ذهنه عند إرادة الوضع، حينما قال:" المعاني هي الصورة الذهنيّة من حيث أنها وضع بإزائها الألفاظ " وقد عبَّر الرازي عن الأشياء التي تراعى عند الوضع بأنها:

---

(١) ينظر: علم اللغة العام لـ دي سوسير ص٨٤ ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز الموصل ١٩٨٨م

(٢) ينظر: دروس في الألسنية العامة لـ ديسوسير ص ١١٠

(المقاصد) عندما ذكر أن السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لابد من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلا بأسباب، كحركات وإشارات، أو نقوش أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد(١)

وهذا ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) يقول: "... إنما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه "(٢)

وهذا ابن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ) يقول: " الألفاظ لم تقصد لذواتها وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان، عُمِل بمقتضاه سواء كانت بإشارة أو كتابة أو بايماءة أو دلالة عقلية أو قرينة حالية"(٣)

❁❁❁❁❁

المطلب الثاني:الترتيب الزمني للفظ والمعنى.

قد ذهب بعض المحدثين من الغرب إلى أن الفكرة والمعنى أسبق وجوداً على اللفظ أثناء عملية التآلف والنظم.

فهذا الناقد الإنجليزي دريدان (ت ١٦٣١ = ١٧٠٠م) يقول:" إن الشاعر يهتدي إلى الفكرة ثم يتخيل المعاني المختلفة المتصلة بالفكرة، وبعد ذلك مرحلة التعبير والباس المعاني والأخيلة ثوب الألفاظ " (٤)

ولقد سبقه العرب في هذا الترتيب، حينما قرر ذلك ابن الأثيرذلك بقوله:

---

(١) ينظر المعنى اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية د. محمد حسن جبل ص ١٣وما بعده طنطا ١٩٨٦م

(٢) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ١/ ١٩٧ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي، مصر ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م

(٣) ينظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين لـ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ١/ ٢١٨ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط الأولى ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥ م، بالمكتبة التجارية مطبعة السعادة مصر

٤) Herbert: collected Essays in literary Criticism,٢nd ed Faber and) Faber,London, ١٩٥٠: P,٤٥

" إذا صورت في نفسك معنى من المعاني.... إنما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه " (١)

والجاحظ (ت ٢٥٥هـ) من أقدم من نصر اللفظ وقدمه على المعنى في مقولته المشهورة:" والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرويُّ،والمدنيُّ،وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير " (٢)

❁❁❁❁❁

المطلب الثالث: الترتيب الجمالي للفظ والمعنى

جعل بعض الأدباء الفرنسيين الجمال الفنيّ منصباً في اللفظ، فهذا الكاتب الفرنسيّ" لابروبير" (ت ١٦٤٥ = ١٦٩٦م) يقول:" إن هوميروس وأفلاطون وفرجيل وهوراس لم يبنِ شأنهم على سائر الكتاب إلا بعباراتهم وصورهم " (٣)

وهذا رائد الواقعية في الأدب الحديث " فلوبير " (١٨٢١ـ ١٨٨٠م) يقول: "والعناية الدقيقة بالعبارة سبيل إلى إجادة التفكير وإحسان التخيل "(٤)

ويقول أيضاً:"....هؤلاء ومن لفَّ لفهم من أنصار الصياغة أقرب إلى الصواب"(٥)

---

(١) ينظر: المثل السائر ١ / ١٩٧

(٢) ينظر: الحيوان للجاحظ ٣ / ١٣١ تح: عبد السلام هارون، ط الأولى، مكتبة وطبعة البابي الحلبي مصر ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م

(٣) ينظر دفاع عن البلاغة لأحمد حسن الزيات ص ٤٠ ط الثانية عالم الكتب القاهرة ١٩٦٧م

(٤) ينظر: الدفاع عن البلاغة ص٧٩

(٥) السابق نفسه

ولقد كان العرب القدامى قد اهتدوا لهذه النظرية من قبل، ويُعَدُّ الجاحظ من أقدم من نصر اللفظ على المعنى حينما قال:" والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها..... وإنما الشأنُ في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ..." (١)

وهذا أبو هلال العسكريّ (ت ٤٠٠هـ) نراه في القرن الرابع الهجري ينقل مقولة الجاحظ ويزيد عليه في الصناعتين فيقول:" وليس الشأنُ في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها.....، وإنما في جودة اللفظ وصفائه وحُحسنه، وبهائه ونقائه، وكثرة طلاوته مع صحة السّبك والتركيب والخلو من أود النَّظم والتأليف وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً..." (٢)

وهذا قدامة بن جعفر(ت ٣٣٧هـ) الذي يقول: " وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضّعة والرفث والنزاهة..... أن يتوخّى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة "(٣)

وهذا هو الآمدي (ت ٣٧٠هـ) الذي يقر بأهمية اللفظ على المعنى من خلال عرضه للمذهب الفنيّ لكل من البحتري وأبي تمام... فنجده يقول:"..... وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الألفاظ مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في أمثاله " (٤)

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: الحيوان ٣ /١٣١

(٢) ينظر: الصناعتين لـ أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ص٥٧ وما بعدها تعليق محمد أمين الخانجي ط الثانية طبعة محمد علي صبيح

(٣) ينظر: نقد الشعر لـ قدامة بن جعفر ص١٤ ط الأولى المطبعة المليجية ١٣٥٢هـ ١٩٣٤م

(٤) ينظر الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى) ٢/ ٤٠ ت السيد أحمد صقر دار المعارف بمصر ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م

المطلب الرابع: العلاقة بين اللفظ ومدلوله

فلقد كان ابن جنيّ مولعاً بفكرة وجود علاقة وصلة بين اللفظ والمدلول، حيث عقد فصولاً أربعة في كتابه " الخصائص " متلمساً الصلة بين اللفظ والمعنى وهي:

" الاشتقاق الأكبر " التي أطلق عليها بعضُ الباحثين " الاشتقاق الكبير " وهذا النوع من الاشتقاق المقصود به كما قال ابن جنيّ:" أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من من كلٍّ واحد منها عليه، وإن تباعد شيءٌ من ذلك عنه ردَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه "(١)

ومن أمثلة ذلك مادرة (ج. ب. ر) التي تدل على الشدة والقوة منها: جبرت العظم إذا قويته،والجبروت، ورجل مجرّب، إذا جربته الأمور واشتدت شكيمته، والبرج لقوته، والأبجر القوي السّرة ، والجراب لأنه يحفظ ما فيه. (٢)

والواقع أن هذا النوع من الاشتقاق ليس من اختراع ابن جني، بل أخذ طريقته عن أستاذه أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، فقط أطلق ابن جني التسمية عليه، فهو يقول:

" هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي ـ رحمه الله . كان يستعين به ويخلد إليه..... (٣)

ويبدو أن ولع ابن جني بهذا النوع من الاشتقاق إنما يعود لإثبات نظرية أخرى وهي العلاقة الطبيعية بين اللفظ والمدلول تلك النظرية التي وضع أساسها الخليل ابن أحمد، وتبناها ابنُ جنيّ، وهي العلاقة بين الصوت والمدلول؛ فلقد كان ابن جنيّ يعتقد أن اللغة بأصواتها التي تمثلها الأبجدية إنما تقدم احتمالات

(١) ينظر: الخصائص ٢ /١٣٤
(٢) ينظر: الخصائص ٢ / ١٣٥
(٣) السابق ٢ / ١٣٣

لا نهاية لها الألفاظ التي ترمز إلى معان، ومن ثَّم أكَّد أن تقلبات اللفظ الواحد تؤدي إلى معان متقاربة، اعتماداً على ما قرره من وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله " (١)

والاشتقاق ذو أهمية في اللغات خاصة اللغات السامية، الذي يعتبر من خصائصها، وميزة العربية، والطريقة المألوفة فيها في صوغ الكلمات وتوليد الألفاظ للدلالة على المعاني المتنوعة، وإن كان المستشرق " فردناند وستنفلد " ـ ناشر كتاب الاشتقاق لابن دريد(ت ٣٢١هـ) عام ١٨٥٤م . قد عاب على الاشتقاق، واعتبره نقطة ضعف في اللغة العربية حيث يقول في هذا الشأن: " إن علم الاشتقاق من نقط الضعف في تاريخ الثقافة العربية؛ لأن الاشتقاق يتطلب الاطَّلاع على مختلف اللُّغات المتقاربة حتى تفهم مكانة الكلمة لغوياً، وعلاقتها بغيرها "(٢)، فقوله هذا لأنه يعامل الاشتقاق في العربية معاملة الايتمولوجيا (علم أصول الألفاظ)، وهو العلم الذي يُعنى بتاريخ الكلمة، وجوهرها المشتمل على أصلها، واشتقاقها، والتثبت من أقدم صيغة للكلمة والصيغ المقابلة والمقاربة لها، ومقارنة كل صوت في الكلمة مع الصوت الذي يماثله في الصيغة التي اشتق منها، مع شرح ـ أيضاً ـ أي تطور يطرأ على المعنى مع الزمن. (٣)

فلقد استُخدم الاشتقاق في اللغات الهندية الأوربية، إلا أن الفرق بينهما في الطريقة، فهو في اللغات الهندية الأوربية يتم بطريقة آلية تفتقر إلى الحيوية، كما أن التوليد لديهم محدود، فقد يضاف إلى الجذر على أكثر تقدير لاحقتان أو سابقتان، وغالباً لا تجتمع، بينما الجذر في العربية يمثل أعداداً كبيرة ومتنوعة من المشتقات؛ ولهذا أطلق على العربية صفة الاشتقاقية أو التصريفية، وعلى

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لمتز آدم ١٠/ ٤٣٧، ط الرابعة ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ =١٩٦٧ م

(٢) عن كتاب الاشتقاق لابن دريد ص٣٣: ٣٤، تح: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، ١٣٧٨هـ =١٩٥٨

(٣) ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد ص٢٥٢،وما بعدها دار الضياء نالأردن

غيرها الإلصاقية كما صنّف " شليجل" الألماني اللغات البشرية إلى فصائل(١)، و"تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " وهو على أضرب، منها اقتراب الأصليين الثلاثيين؛ " كضيّاطٍ وضَيْطار"، و" لُوقةٍ وأَلوقةٍ"، و "، ومنها اقتراب الأصلين، ثلاثياً أحدهما، ورباعياً صاحبه، أو رباعياً أحدهما، وخماسياً صاحبه؛ كدمِثٍ، ودِمَثْر، وسَبِط وسِبَطْرٍ، فالأول منهما ثلاثي، والآخر رباعي الأصل ، ومنها التقديم والتأخير نحو: (ك ل م) و(ك م ل) و (م ك ل). (٢)، و" تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني " ومن ذلك قولهم: المِسْك والصُّوار فالمِسْك يلاقي معناه معنى الصُّوار، وإن كانا من أصليين مختلفين، وبنائين مختلفين(٣) ومنه " تقارب الحروف لتقارب المعاني "؛ كالعسف والأسَفْ فالعين أخت الهمزة، و (هزَّ) و(أزَّ) فالهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى . في قوله تعالى (ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزًّا) مريم آية ٨٣ ـ بالهمزة؛لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنك قد تهزّ ما لابال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك. (٤) كما في قوله تعالى : **(وهزِّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً)** مريم آية ٢٥، فمريم كانت في حالة مخاض، ووجع ولادة فناسبها الهزّ " بالهاء " لمناسبة حالها. و (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، فالمصادر الرباعية المخففة تأتي للتكرير نحو " الزعزعة" و" القلقلة و" الصلصلة "

و" الجرجرة "....إلخ و(الفَعَلى) في المصادر والصفات تأتي للسرعى نحو " البَشَكَى "،و " الجَمَزَى "، و" الوَلَقَى ".....إلخ (٥).

(١) ينظر: في فقه اللغة د. عبد العزيز علام، د. عبد الله ربيع ص ٨٣ وما بعدها. ط الأولى ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م

(٢) ينظر: الخصائص ٢/ ١٤٥، ١٤٦

(٣) ينظر: الخصائص ٢ / ١١٧، ١١٨

(٤) السابق ٢ / ١٤٦

(٥) ينظر: الخصائص ٢ / ١٥٢، ١٥٣

والخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) . أيضاً ـ حاول أن يجد علاقة بين اللفظ ومدلوله،جاء في التهذيب:" ويقول الخليل بن أحمد:" كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا:(صرصر) "[١]

وقال سيبويه (ت ١٨٠هـ) ـ أيضاً ـ في المصادر التي جاءت على وزن "الفَعَلان " أنها تأتي للاضطراب والحركة نحو: " النَقَزَان " و" النَّزَوان " و"الغثيان" و" والغليان " فقالوا بتوالي الحركات الفعال[٢]

فسيبويه – هنا – أشار إلى أن المصادر التي تكون على وزن فعلان، تصور الحركات التي تصاحب الحدث، وهذا ربط بين الصوت ومدلوله.
وأيضاً ابن دريد، يضع كتابه "الاشتقاق " على أساس هذه النظرية.وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه " مقاييس اللغة " يشير إلى هذه الصلة من خلال قوله:" القلم لا يكون قلماً إلا وقد بُري وأصلح وإلا فهو أنبوبة..... "[٣]
وهكذا نرى أن علماءنا خلصوا إلى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اعتباطية، ومن ذلك ـ أيضاً ـ قولهم:(خَضِم،وقَضِم، فالخضم لأكل الرَّطْب؛ كالبطيخ، والقِثَّاء، وما كان نحوها من المأكول الرَّطْب، والقَّضْم للصُلْب؛ نحو: قضِمتِ الدابَّة شعيرها، ونحو ذلك، فاختاروا الخاء لرخاوتها للّرطْب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حَذْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث. [٤] وأيضاً قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ، والنضخ أقوى من النضح؛ قال تعالى :

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٢ / ١٠٦ تح: أحمد عبد الحليم البردوني، مراجعة علي البجاوي الدار المصرية للتأليف والترجمة باب الصاد والراء، والخصائص ٢ / ١٢٥.
(٢) ينظر: الكتاب لسيبويه ٢ / ٢١٨ ط الأولى ١٣١٧هـ، المطبعة الأميرية ، بولاق
(٣) ينظر: الصاحبي ص٩٨: ٩٩، مطبعة المؤيد، المكتبة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠ م.
(٤) ينظر:الخصائص ٢ / ١٥٧،١٥٨

(فيهما عينان نضّاختان) الرحمن آية ٦٦، فجعلوا الحاء ـ لرقتها ـ للماء الضعيف، والخاء ـ لغلظها ـ لما هو أقوى. (١)

فابن جني أثبت أن لكل صوت في العربية دلالة ذاتية،وقيمة تعبيرية، حتى وصف ـ د. صبحي الصالح على صنيع ابن جني بأنه " فتحاً مبيناً في فقه اللغات "(٢)

وذهب – أيضاً – عبد الله العلايلي إلى ما ذهب إليه ابن جنيّ؛ حيث جعل لكل حرف قيمة لغوية " فالهمزة على الجوفية، والباء تدل على بلوغ المعنى في الشئ بلوغاً تاماً، والجيم تدل على العظم مطلقاً، والخاء على المطاوعة والانتشار، والدال على التصلب، والذال على التفرد، والراء على الملكة وشيوع الوصف، والسين على السعة والبسطة، والشين على التفشي بغير نظام، والعين على الخلو الباطن، أو على الخلو مطلقاً، والغين تدل على كمال المعنى في الغؤور، أو الخفاء، والفاء تدل على المعنى الكنائي، والقاف على المفاجأة التي تحدث صوتاً، والميم تدل على الانجماع، والهاء على التلاشي، والواو تدل على الانفعال المؤثر في الظواهر، والياء على الانفعال المؤثر في الباطن " (٣).

وأيضاً الشدياق (ت ١٨٠٤= ١٨٨٨م) فالحرف عنده يوحي بدلالة الكلمة، فنجده فيقول : " فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو البراح والابطح.....

ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة، نحو الفرهد والأملود، والميم القطع والاستئصال والكسر نحو، أزم وحسم وحطم، وحلقم وخذم، وخرم وخضم " (٤)

---

(١) ينظر: الخصائص ٢ /١٥٨

(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة ص ١٥٩ ط الثانية، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت

(٣) ينظر: تهذيب المقدمة لـ عبد الله العلايلي ص ٦٣: ٦٤ بقلم د. أسعد علي ط الأولى ، دار النعمان، لبنان ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨

(٤) ينظر: الساق على الساق فيما هو الفارياق للشدياق ١ / ١: ٢ المكتبة التجارية، مطبعة الفنون الوطنية بمصر. بلا تاريخ

وإذا كان الحرف عند" الشدياق" يوحي بدلالة الكلمة، فإن الحرف عند " جورجي زيدان "ينوِّع المعنى الأصلي للكلمة نتيجة لزيادة حرف في أول الكلمة، أو آخر الكلمة، أو وسطه نحو: (قط، وقطب، وقطع، وقطف،وقطم، وقطل)"[١]

وهما بذلك قد سبق " بوز " الفيلسوف الهولندي إلى القول بهذه الدلالة الذاتية والقيمة التعبيرية للأصوات،وربط معنى الكلمة بدلالة الفونيم الذاتية ، فيرى أن علم الأصوات قد اكتشف القيمة الفريدة لأصوات الكلام اوأن لها من القوة والتأثير بما يجعل لها القدرة على توجيه المعنى وجهة معينة كما في " خضم، وقضم، ونضخ، ونضح "[٢]

ويتوصل" همبلت "ومن بعده " يسبرسن " أيضاًإلى ما توصل إليه ابن جني وغيره من العرب. أما " ويتني " و" دي سوسير "، و" ستيفن أولمان " فلقد كانوا على نقيض معاصرهما، فكان " أولمان " يردد ما قاله " دي سوسير " بأنه:" لا يوجد في اللفظ ما ينبئ عن المدلول فبالاضافة إلى عدم وجود أية علاقة ظاهرة بين الكلمة وما تدل عليه " [٣] معللاً ذلك بقوله:" هناك شيئان يعارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بينهما فالأول: يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة. أماالآخر فيتبلور في الحقائق التاريخية، فلو كانت معاني الكلمات كامنة في أصواتها،لما أمكن أن تتغير في لفظها ومدلولها تغيراً يستحيل ربطه بالوضع الأصلي لها ".[٤] وقد أكد " همبلت " ـ أيضاً ـ على ما ذهب إليه علماؤنا العرب القدامى من أنه توجد ألفاظ تدل بذاتها على معناها،[٥] من ذلك الكلمات التي يتولد معناها من لفظها ووقعه في الأذن نحو: " حسيس، وخرير،

(١) ينظر: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لـ جرجي زيدان ص٩٩ – ١٠١ مراجعة د. مراد كامل دار الهلال

(٢) Ullmann (Stephen) : The Principes of Semantics pp. ٣١: ٣٢

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة ص ٧٠: ٧٢

(٤) السابق نفسه

(٥) ينظر: اللغة لفندريس ص٢٥٣

وأزيـــز ، ونغيـــق، وصـــهيل،وزئير....إلـــخ " إضـــافة إلـــى ألفـــاظ التعجـــب والتأوه،والتوجع.....إلخ.

إلا أنـه يبدي تحفظاً في قولـه:" إن هذه الرمزية أو المناسبة الطبيعية تظهر في الألفاظ، ولكنها في وقت ما قد تبدو غامضة ". (١)

لكن يرى "دي سوسير " وأيضاً " فندريس " أن مثل هذه الألفاظ الدالة بذاتها على معناها هي قليلة لا تخل بالقاعدة العامة في اعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى(٢)

حيث يَرَيَانِ "اعتباطية " أو " جزافية " العلاقة بين الصوت والمدلول ،فَيَرَيَانِ أنه لا يوجد منطق يلزم أن توضع . مثلاً ـ كلمة شجرة في العربيةعلى ما سواها في اللفظ في الدلالة على الشجرة، ويضربان مثلاً بأنه لا يوجد علاقة جوهرية بين فكرة الأخت في العربية،والحروف المكونة لكلمة " سيستر "، ويؤكد " دي سوسير " أنه ليس هناك أي ارتباط ضمني أو علاقة تلازمية بين أي صوت لغوي وما يدل عليه بدلالة الاختلاف بين اللغات، وتغير دلالة الألفاظ في اللغة الواحدة من عهد إلى عهد،كما أنه لا يجب على المتكلم الحق أن يستغل اعتباطية اللغة في اختيار أو تغيير هذه العلاقة اللغوية كيفما يحلو له، متى استقرت هذه العلاقة " الكلمة " في المجتمع.. لكنه يؤيد ما ذهب إليه بعض العلماء من وجود هذه العلاقة الذاتية، إلا أنها محدودة لا تمثل عنصراً عضوياً في النظام اللغوي الصوتي.

❁❁❁❁❁

(١) Otto Jespersen: language, its Nature, Development and Origin, P.٣٩٦-٣٩٧

(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة ص٧٦

المطلب الخامس:نظرية السياق

يعد " مالينوفسكي " Malinowski - عالم الاجتماع،والاجناس البشرية ــ أول من تناول نظرية السياق عندما صادف صعوبات أثناء ترجمته لبعض الكلمات، والجمل في اللغات البدائية، وخاصة لغات الهنود الحمر في أمريكا إلى اللغة الإنجليزية (١) فوجد أن الكلمات المعزولة عن سياقاتها لا تعدو أن تكون مبهمة ؛ فاقترح بضرورة تحليل أنماط السياقات الكلامية من ناحية، ومراعاة المواقف الخارجية، أو الظروف غير اللغوية من ناحية أخرى.

فتعد " نظرية السياق " هي الحجر الأساس الذي أسستها المدرسة اللغوية الاجتماعية والتي أسسها " فيرث " في بريطانيا،حيث حاول أن يطبق نظرية " مالينوفسكي " ؛ فأكد على أهمية مراعاة السياق الخارجي أو المقام في عملية تحليل المعنى، فلقد حاول أن يثبت مقولة أن " المعنى وظيفة السياق " (٢)
كما دعا " فيرث " إلى ضرورة مراعاة نوع آخر من السياق أطلق عليه:
Linguistic Context " السياق اللغوي " فنراه ينص على أن اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها؛ لأنها مزيج من عوامل العادة والعُرف والتقليد وعناصر الماضي والإبداع، وكل ذلك يشكل لغة المستقبل، وعندما تتكلم فإنك تصهر كل هذه العوامل في خلق فعلي ملفوظ، و نتاج لغتك وشخصيتك هو أسلوبك، وفى هذا الارتباط حقل واسع للبحث في الأسلوبية(٣)

---

(١) يانسن Janssen ,Hand b. der. Ling. S.٢٢٩

(٢) ينظر: (**R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. ٢١٣** ***Green and Co LTD. Second* ،Longman's Linguistics *Library impression ١٩٦٩***

(٣) . R. Firth: Papers in Linguistics. P. ١٨٤) Oxford University ، London،PRESS Amen House، First edition ١٩٥٧، Reprinted ١٩٥٨ ، and ١٩٦١ ١٩٦٤.

وينقسم السياق عند " فيرث " إلى:

- السياق اللغوي
- السياق الموقف
- السياق الثقافي [١]

فالسياق يلعب دوراً هاماً في في قيمة الكلمة، يقول فندريس:" الذي يعيِّن قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق؛ إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوٍّ يحدد معناها تحديداً مؤقتاً. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدلّ عليها "[٢].

ويقول ايضاً في موضع آ خر: " كما تتركز أهمية سياق الحال أو المقام في الدرس الدلالي في فوائد منها: الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، ورفع المفهوم الخاطئ وغيرها " [٣]

والواقع أنه قد أدرك العرب هذا النوع من الدلالة " دلالة السياق "، حيث أطلق العرب علية مصطلح " المقام " وأحيانا " الحال "، فلم يكن يعرف " مالينوفسكي "وهو يصوغ مصطلحه الشهير " Context of situation" (سياق الموقف) أنه مسبوق؛ حيث عرفه العرب " القدماء "، ولكن كتبهم لم تنل من الدعاية والشهرة ما ناله مصطلح " مالينوفسكي " بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات.. [٤]

---

(١) J. Lyons: Semantics، Volume ٢: P ٦٠٩، Cambridge University PRESS، London، First Published ١٩٧٧.

(٢) ينظر: اللغة لفندريس ص ٢٣١

(٣) ينظر: **سياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيدر (تحليل وتطبيق) ٣٠ -٥٢ مكتبة النهضة المصرية.**

(٤) ينظر: العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ٣٧٢ دار الثقافة ١٩٩٤م

ولقد تعرض " سيبويه " لهذه القضية في أول كتابه تحت عنوان "هذا باب اللفظ للمعاني"، فيقول: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد

واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وسترى ذلك إن شاء الله تعالى ". فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك: وَجَدْتُ عليه من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وِجدان الضّالة.وأشباه هذا كثير "[١]، فسيبويه هنا يشير إلى أهمية السياق في التفريق بين معاني المشترك اللفظي وأنه إذا تعدَّد معنى الكلمة، تعدَّدت بالتالي احتمالات القصد منها، وتعدد احتمالات القصد يقود إلى تعدد المعاني، ويقوم السياق ووضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها، ويصرف ما يُدّعى من التباس أو إبهام او غموض في الدلالة بسبب هذه الظواهر [٢]

فلقد اشتهر العرب بعبارة (لكل مقال مقام)؛ حيث وردت ضمن الأمثال العربية الموروثة منسوبة لأكثم بن صيفي [٣]، ثم صاغها الحطيئة شعراً في بيت اعتذر فيه لسيدنا عمر بن الخطاب:

تحنن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا [٤]

---

(١) ينظر: الكتاب ١/٢٤.

(٢) ينظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة د. أحمد نصيف الجنابي ص٣٦١، ٣٩٨ مجلة المجمع العلمي العراقي محرم ١٤٠٥ هـ تشرين الأول سنة ١٩٨٤ م مج ٣٥

(٣) ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٣/ ١٢ تحقيق أحمد أمين وآخرين القاهرة ١٩٤٨= ١٩٥٣ م

(٤) ينظر: ديوان الحطيئة ص ٢٢٢، تح: نعمان أمين طه القاهرة ١٩٥٨ م، ولقد نسب البيت أيضا لطرفة بن العبد يخاطب به عمرو بن هند، وصدره كما في ديوان " طرفه " ص١٨٩ " تصدق علي " تح: درية الخطيب، ولطفي الصقال ،دمشق سنة ١٩٧٥ م

كما وردت هذه العبارة في قول هبيرة بن أبي وهب:

وإن مقال المرء في غير كنهه لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها (١)

فلقد أشار العرب القدماء إلى ضرورة مراعاة المقام أو السياق ا لخارجي.

يقول سيبويه عند تفسير قولهم " أتميمياً مرة وقيسياً أخرى ":" هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلوّن وتنقّل فكأنك قلت: أتتحول تميمياً مرة وقيسياً أخرى، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له وهو عندك في تلك الحال في تلوّن وتنقّل وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل به ليفهمه غياه ويخبره عنه ولكنه وبخّه بذلك..." (٢)

كما أشار ابن جني إلى العناصر الأدائية المصاحبة للكلام، وأثرها في المعنى بقوله:" إنك تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بهذه بـ (الله) هذه الكلمة، وتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، أي رجلاًفاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك نقول سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكّن الصوت بإنسان وُتفخّمه فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك إنساناً سَمْحاً أوجواداً أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً ! وتَزْوِي وجهك وتقطّبه فيغني ذلك عن قولك " إنساناً لئيماً " أو لِحَزاً " أو " مبخّلاً " أو نحو ذلك " (٣)، فابن جني يتحدث عن الملابسات المحيطة بأداء الكلام.

وأيضا يؤكد الجاحظ على أهمية هذه الملابسات (سياق الحال) في الكشف عن المعنى فيقول:" ومتى سمعت ــ حفظك الله ــ بنادرة من نوادر كلام الأعراب

(١) ينظر: البيان والتبيين للجاحظ ٣ / ٢٠٣ تحقيق عبد السلام هارون ط الرابعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م
(٢) ينظر: الكتاب ٣ / ٣٤٣
(٣) ينظر: الخصائص ٢ / ٣٧١

فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها..... وكذلك إن سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطعام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب او تتخيّر لها لفظاً حسناً او تجعل من فيك مخرجاً سرياً فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها، واستملاحهم لها" (١)، ولقد ذهب " أولمان " إلى ما ذهب إليه الجاحظ وهي " أن وقوع الكلمات في نماذج من السياقات يكسبها جواً خاصاً، ويحيطها بملابسات تعين في الحال على استحضار البيئة التي تنتمي غليها هذه الكلمات... وقد تزيد التعبيرات الدارجة واصطلاحات اللهجات العامية في بهجة الأسلوب وحيويته إذا استعملت استعمالاً لبقاً " (٢)

فلقد كان ابن جني سابقاً لعصره عندما تحدث عن أهمية السياق الخارجي في الكشف عن المعنى، وبين أن غياب السياق قد يؤدي إلى نوع من الخطأ في تفسير معاني الجمل أو العبارات، وقد نبَّه إلى ذلك بعضُ المستشرقين الذين اهتمُّوا بقضية المعنى ورأوا أن اللغويين "العرب " كانت لديهم روايات كافية يعرفون بها معنى الابيات الشعرية،ومعاني الكلمات المفردة على وجه التقريب، ولكنها لم تنح لهم على أي حال معرفة مباشرة موثوقة العُرى بالعادات والتقاليد

(السياق الخارجي) التي أحاطت بمعاني (الأبيات) أ و الكلمات " (٣)

كما نجد البلاغيين العرب قد أولوا اهتماماً، وعناية كبيرة بالسياق اللغوي، وليس أدلّ على ذلك من ربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، فنجده يقول:" وجملة الأمر أناّ لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة ما يليها. فإذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى: (واشتعل الرأس شيبا) مريم آية ٤ إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم

(١) ينظر: البيان والتبيين ١ / ١٤٦
(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة ص٩٢
(٣) ينظر: فيشر Fi scher , Farb undformb. ,S. ٢٤

توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولاً بها الرأس معرفاً بالألف واللام ومقروناً إليها الشيبُ منكرّاً منصوباً"" (١)

ونجده يقول في موضع آخر:" فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الألفاظ تَثْبُتُ لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أوما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ"(٢) كما يعتبر النُّحاة اللغويون من العرب من الأوائل ــ ايضا ــ ممن اعتمدوا على السياق اللغوي في دراستهم للتراكيب النَّحوية، فالخليل بن أحمد (ت ١٧٨هـ) كما يتضح من كتاب تلميذه سيبويه من الرواد الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم، والمخاطب، والعلاقة بينهما.

ومن أمثلة ما نسبه تلميذه في معرض تحليله لقول الشاعر (٣):

إذا تغنَّى الحَمامُ الوُرْقُ هَيَّجَني ولو تغرَّبتُ عنها أمَّ عَمّارِ

قال الخليل: لماّ قال (هيجّني) عرف أنّه قد كان ثَمَّ تذكُّرٌ لتَذكرةِ الحمام و تهييجه، فألقى ذلك الذي قد عُرف منه على (أمّ عمّارٍ)، كأنه قال: هيجني فذكّرني أمّ عمّارٍ. ومثل ذلك أيضا قول الخليل، وهو قول أبى عمرو: ألا رجلَ إماّ زيداً وإما عمراً؛ لأنه حين قال: (ألا رجلَ)، فهو متمنٍ شيئا يسأله ويريده، فكأنه قال: اللهمَّ اجعله زيداً أو عمراً، أو وفِّقْ لي زيدا أو عمراً "(٤)

(١) ينظر: **دلائل** الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص ٣٦٥ تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر القاهرة ١٩٨٤ م

(٢) السابق ص٩٢

(٣) نسبه محقق الكتاب للنابغة الذبياني، الكتاب ٢٨٦/١.

(٤) ينظر: الكتاب ١/ ٢٨٦

كما اعتنى الخليل بالعلاقة بين المتكلم و المخاطب، وذلك عند الحديث عن أن (قد) جواب لمن قال: لماّ يفعل، فتقول في الجواب: قد فَعَل. " و زعم الخليل أن هذا الكلام لقومٍ ينتظرون من الخبر[١] فالمخاطب في حاجة إلى تأكيد الجواب، و هنا لابد من أن يراعى المتكلم حال المخاطب[٢] فيستخدم (قد) التي تفيد التأكيد مع الماضي.

كما أولى سيبويه (ت ١٨٠ هـ) كلا من (السياق اللغوي) و(سياق الحال) اهتماماً كبيراً، يتضح ذلك من استعانته " بالسياق اللغوي " بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب[٣]، فمن ذلك الاستغناء عن تكرار (كلّ) في قول الشاعر:

أكُلَّ امرئٍ تحسبين امرأ ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارا

وفي موضع آخر أشار الجرجاني إلى أن الكلمة لا توصف بالفصاحة، ولا بالبلاغة خارج السياق سواء أعذبت أصواتها أم قبحت، ثقلت حروفها أم خفت، تباعدت مخارجها أم قربت، فالألفاظ كما يقول:" لا تتفاعل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة، وإن الألفاظ تثبت لها المزية وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما شابه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ " [٤]

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: الكتاب ٤/ ٢٢٣

(٢) **أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته دراسة نصية من القرآن الدكتور فتحي ثابت علم الدين، رسالة دكتوراه بكلية الدراسات العربية والإسلامية بالمنيا سنة ١٩٩٤م.**ص ١١، ١٢

(٣) ينظر: **الكتاب ٦٦/١،، وينظر أيضاً: ٢٣٢/١**

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ص ٦٤

المطلب السادس: أثر الصوت والنغمة، ولغة الجسد على التعبير

قد بنيت الدراسات الحديثة أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في جميع الأصوات، بل إن من اللغات ما يعتمد على درجة الصوت في التفريق بين المعاني، أمثال اللغات النغمية كاللغات الصينية اللغوية [١] فكلمة "فان " مثلاً:
تعطي ستة معان، يفرق بين كل معنى وآخر درجة الصوت عند النطق بها، وهي: " نوم، يحرق، شجاع، واجب، نعم، مسحوق " [٢]

واللغة " الفهلية " في إفريقيا الغربية الفرنسية إذا نطقوا mi warata بنغمة على الفتحة الأخيرة a مماثلة لنغمة سائر الجملة، كان معناها: (سأقتل) أو (أقتل) في الوقت الحاضر، أما لو نطقت الفتحة الأخيرة بنغمة أعلى فمعناها:
(لن أقتل) [٣] ولقد أقرَّ العالم "ألبرت ميهرابيان "أن التأثير الكلي للرسالة يتحقق من خلال الشق اللفظي (الكلمات فقط) بنسبة ٧% فقط، والشق الصوتي (نبرة الصوت وتغيير مقامه وغيره) بنسبة ٣٨%،ولغة الجسد ٥٥% [٤]
. ولقد أدرك بعض اللغويين العرب أثر الصوت ونغمته على التعبير.
يقول ابن جني:" وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: (كان والله رجلاً) فتزيد في قوة اللفظ بـ الله، هذه

(١) راجع تقسيم "شليجل " الألماني للفصائل اللغوية في كتاب " في فقه اللغة " ص٨٥:٨٣
(٢) ينظر: ابن جني النحوي د. فاضل صالح السامرائي ص١١٧ــ ١١٨ طبع بمطابع دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٨٩هـ محيلا إلى الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنس، وعلم اللغة العام ص٣٣٠
(٣) ينظر: في علم اللغة العام د.. عبد العزيزعلام ص٣٣٠، دار كنوز المعرفة،جدة ط الأولى ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤ م
(٤) ينظر: المرجع الأكيد في لغة الجسد لآلان وبابارا بييز ص٩،مكتبة جرير المملكة العربية السعودية،ط الثانية ٢٠٠٨م

الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول: (سألناه فوجدناه إنساناً)، وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً أو جواداً أو نحو ذلك " (١)

ويقول أيضاً:".. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت:(سألناه وكان إنساناً) وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً او لحِزاً أو مبخّلاً أو نحو ذلك " (٢)

فيلاحظ في النص السابق أنه أورد لغة الجسد بعد الحديث عن نغمة الصوت، فجمع في قوله:"وكذلك إن ذممته....." بين عناصر الاتصال الثلاثة في علم الاتصال الحديث: الاتصال اللفظي، ونبرة الصوت، ولغة الجسد.

وقد خرج ابن جني على ذلك قراءة (يا حسرةْ) (٣) في قوله تعالى (يا حَسْرةً على العِباد) يس آية ٥٤ فيقول:"... الأصواتُ تابعةٌ للمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قطع وقطَّع، وكسر وكسّر، زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه... علمت أنه في موضع وعظ وتنبيه وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدَّال على أنه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره".(٤)

ثم يقول:" ولا يخف ذلك عليك ما مرَّ به من انتقاض صنعته؛ فإن العربَ قد تحمل على ألفاظِها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى " (٥)

---

(١) ينظر: ينظر: الخصائص ٢ / ٣٧١

(٢) ينظر: الخصائص ٢ / ٣٧١

(٣) وهي قراءة الأعرج ومسلم بن جندب وأبي الرداد ينظر: المحتسب ٢ / ٢٠٨ مختصر ابن خالويه ١٢٥

(٤) ينظر: المحتسب ٢ / ٢١٠

(٥) السابق

فما رسخه ابنُ جني في هذه القضية يجلي قيمةَ النبرة الصوتية، والتعبير الجسدي (تعبيرات الجسد) في إظهار المعنى، فيعدُّ ابنُ جني بذلك ممن سبقوا الغرب في وضع جذور هذا العلم الحديث الذي ضجَّت به الساحة التدريبية في عصرنا الحاضر.

المبحث الثالث
قضايا صوتية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نظرية الحركات أبعاض حروف المد

فمن روائع ابن جني التفاته إلى نظرية (الحركات أبعاض حروف المد) في كتابه " سر صناعة الإعراب "، والتي أشار لها سيبويه في مواضع متفرقة من كتابه، حيث تناولها بالشرح والتفصيل.

يقول ابنُ جنيّ في سر صناعة الإعراب: " اعلمْ أن الحركات أبعاض حروف المد واللين والألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة؛ فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة؛ ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك: يخاف وينام ويسير ويطير ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما. فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتداداً، وذلك نحو: يشاء ويداء ويسوء ويهوء ويجيء ويفيء. وتقول مع الإدغام: شابّة ودابّة ويطيب بّكر ويسير رّاشد وتمود الثوب وقد قوص زيد بما عليه؛ أفلا ترى إلى زيادة الامتداد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن، وهن في كلا موضعيهن يسمين حروفا كوامل؛ فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صغاراً بأبعد في القياس منه "[1]

وبالنظر إلى هذا النص يتضح لنا إدراك ابن جني العلاقة الصوتية بين الحركات وحروف المد على الصورة التي طالعتنا بها الدراسات العلمية لعلم الصوتيات

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ١ /، ١١٧ ، ١١٨ دار القلم دمشق ط الأولى ١٩٨٥م تح: د. حسن هنداوي

الحديث؛ فالمقياس الثاني على مربع " دانيال جونز " للحركات الذي يرمز إليها حرف e

يخرج منه صوت " الكسرة بنوعيها "، نحو: فقه، وفقيه، والإمالة الشديدة نحو: " والضحى " و " مجريها "، وأن المقياس السابع ، ويرمز له بـO

يخرج منه صوت " الضمة " و" واو المد " نحو، قُتِل وقوتِل ، والمقياس الرابع a

و الذي يرمز إليه بالرمز a و الذي يشبه الفتحة الطويلة (ألف المد) في كلمة (كِتَاب). (١)

❁❁❁❁❁

المطلب الثاني: كيفية خروج الصوت

من الإشراقات التي تناولها ـ أيضاً ـ ابنُ جني، شرحه العملي لكيفية خروج الصوت، حيث شبَّه جهاز النطق (بالناي)، وأعضاء النطق بـ

(أصابع العازف على فتحات الناي)، فكما أن حركات الأصابع تكيِّف الصوت وتضع نغماتَه، كذلك تفعل تحركات أعضاء النطق في الهواء الخارج من الرئتين؛ فتكون الأصوات اللغوية، فنجده يقول في سر صناعة الإعراب: "... ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير،صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة، ونظير ذلك أيضا وتر العود،فإن الضارب إذا ضربه

(١) ينظر: علم الصوتيات د. عبد العزيز علام و د. عبد الله ربيع ص٢٣٤وما بعدها، مكتبة الرشد، ١٤٣٠هـ=ى٢٠٠٩م ط الثالثة

وهو مرسل سمعت له صوتاً فإن حصر آخر الوتر، ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخفة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع، كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع واختلاف، الأصوات هناك كاختلافها هنا، وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة.....أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما الحرف وكشفنا عنهما بما هو متجاوز للإقناع في بابهما ووضحت حقيقتهما لمتأملهما"[١]

وهكذا يمضي ابن جني في بيان كيفية إنتاج الأصوات اللغوية في جهاز النطق رابطاً في ذلك بين علم الصوتيات، وعلم الموسيقى بطريقة وصفية دقيقة. وإن كان ذلك قد أخذه من الخليل بن أحمد

❁❁❁❁❁

المطلب الثالث: مصطلح علم الأصوات

وأيضا من الإشراقات الرائعة ـ أيضاً ـ لابن جني والتي سبق فيها البحث الصوتي الحديث،استعماله مصطلح (علم الأصوات) في كتابه، للدلالة على دراسة الأصوات، والبحث في مشكلاتها المختلفة، على نحو ما جاء في الدرس الصوتي phonetics [٢] للمصطلح الحديث الأوربي

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ١ / ٨

(٢) ينظر : دراسات في علم اللغة د. كمال بشر ص ٦٨ القسم الثاني

يقول ابن جني:" فأما القول على لفظهما فإن الصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتاً فهو صائت وصوت تصويتاً فهو مصوت وهو عام غير مختص يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار قال الله تعالى **(إن أنكرَ الأصواتِ لصوتُ الحمير)** لقمان آية ١٩

وقال الشاعر: [١]

(كأنما أصواتها في الوادي... أصوات حج من عمان غادي)

❁❁❁❁❁

المطلب الرابع: الفرق بين الصوت والحرف.

فعلى الرغم من عدم استخدام الخليل بن أحمد لمصطلح الصوت، إلا أنه فرَّق بين صوت الحرف واسمه،وهذا يتضح من سؤاله لأصحابه حينما قال لهم: " كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك، والكاف التي في مالك والباء التي في ضرب ؟ فقيل له: نقول باء كاف فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف " [٢] فلقد كان الخليل يقصد هنا مصطلح الصوت، ومما يؤكد ذلك ما ذكره محقق كتاب العين في المقدمة من أن كلمة حرف تعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة " صوت " في عصرنا الحاضر، فقد كان يقول:" فإذا سئلت عن كلمة، وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب، وإن قوله (حروف الكلمة) يعني أصواتها، وهو يشير إلى أنه ضمن مقدمته التي دعاها (الكتاب المقدم) هذه المواد اللغوية. [٣]

ثم جاء تلميذه سيبويه واستعمل ـ أيضاً ـ مصطلح الحرف، وأراد به الصوت.

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ١ / ٩، ١٠

(٢) ينظر: االعين ١ / ١١ ت د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ط الأولى ١٩٨٨

(٣) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية د. تمام حسان ص١٦٨ دار الثقافة المغرب

فنجده يقول مثلاً:" ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً" وأيضاً يقول:
" ومن الحروف الشديدة....." [١]، ويبدو أن مصطلح " الصوت " قد استقرَّ عند ابن جني؛ فنجده يقول: " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النَفَس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم حرفاً ويختلف أجراسُ الحروف بحسب اختلاف مقاطعها "[٢]

وهو يعني بالصوت: صوت ذبذبة الأوتار الصوتية وإن لم يصرِّح بذلك، أما الحرف فإنه يرادف في كلامه بمخرج الصوت [٣] لقوله:" الحرف حدٌّ منقطع الصوت وغايته ". [٤]

ولذلك نجد ابن جني عندما وضع أول معجم له لم يرتبه ترتيباً أبجدياً (الحروف) رأى أن ترتيب الحروف الصوتي وفق مخارجها، وعلى ما لها من ارتكاز في جهاز النطق هو الترتيب العلمي الأسلم؛ " بعد أن دبر و نظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد الكلام كله من الحلق فصير أولاها بالابتداء أدخل حروفها في الحلق ".[٥]

وأيضاً ما ذهب إليه ابن جني من الفرق بين الصوت والحرف نجده عند ابن سينا إذ يقول: " والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع ". [٦]

ولقد وجدنا المحدثين الغرب من علماء الأصوات ـ أيضاً ـ تناولوا هذه القضية (الصوت والحرف)، وفرقوا بينهما، فالأصوات المختلفة التي يعبر عنها في الكتابة برمز واحد،ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة، هي ما يطلق عليها الغربيون اسم Phoneme فونيم = وحدة صوتية / عائلة صوتية

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٣٣، ٤٣٤
(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب ١ / ٦: ٧
(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب ص ٨٥ ط الثالثة
(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب ١/ ١٦
(٥) ينظر: العين ١ / ٤٧
(٦) ينظر: أسباب حدوث الحرف لـ ابن سيناء ص ٦ القاهرة ١٣٥٢هـ

نطقية، فالصوت عند العرب هو الذي نسمعه ونحسّه، أما الحرف فهو الرمز الكتابي، الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لايؤدي تبادلها في الكلمة، إلى اختلاف المعنى (١)

يقول د. تمام حسان:.

" الفرق بين الصوت وبين الحرف هو فرق بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين أحد المفردات والقسم الذي يقع فيه، فالصوت عملية في تجارب الحواس، وعلى الأخص، حاستي السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركة وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه، أما الحرف: فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية، لا عملية عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم، فإن الحرف مما يوجده الباحث ". (٢)

ويقول فندريس:" لسنا في حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات في لغة (ما)، بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها. فكل لغة فيها من الأصوات، أكثر مما في كتابتها من العلامات. تلك حال الفرنسية والإنجليزية والألمانية، ومع ذلك فإن عدد الأصوات في أي لغة، لا يكاد يتعدى الستين عادة، بل يمكن أن ينزل عن ذلك، نزولاً محسوساً " (٣)

فعلى هذا فمصطلح" الحرف " عند العرب جاء مساوياً للمصطلح الغربي " الفونيم " وتصور الفونيم أو الحرف بهذا المعنى تصور حديث أدركه المحدثون.

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص٨٣: ٨٤

(٢) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٨٣: ٨٤

(٣) ينظر: اللغة لفندريس ص٦

المطلب الخامس : مطل الحركة

يعرفها ابن جني بقوله:" باب في مطل الحركات: وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشىء بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو "(١)

ولقد تناول ابن جني " مطل الحركة " في ثلاثة مواضع في التذكر والإنكار:

ففي الأول يقول:" وكذلك الحركات عند التذكّرُ يمطلن حتى يفِين حروفاً. فإذا صرنها جرين مجرى الحروف المبتدأة توأَم، فيُمطلن أيضاً حينئذ؛ كما تُمطل الحروف، وذلك عند التذكر مع الفتحة في قمت: قمتا، أي قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة: أنتي، أي أنتي عاقلة، ونحو ذلك، ومع الضمة: قمتو، في قمتُ إلى زيد ونحو ذلك " (٢)

وفي الثاني يقول أيضاً:" فإن قيل أفتنصّ في هذه المَدّة على حرف معيَّن: الألف أو الياء أو الواو ؟ قيل: لم تظهر في شيء من الإنكار على صورة مخصوصة فيقطَع بها عليها دون أختيها، وإنما تأتي تابعة لما قبلها؛ ألا تراك تقول في قام عُمَر: أعمروه، وفي رأيت أحمد: أأحمداه، وفي مررت بالرجل آلرجليه، وليست كذلك مَدّة الندبة؛ لأن تلك ألف لا محالة.....) (٣)

وفي موضع آخر يشير إلى أن مطل الحركة عند الشعراء إنما يكون عند الحاجة إلى إقامة الوزن (٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن" مطل الحركة " ظاهرة لغوية صوتية مرتبطة بنفسية المتكلمين،

---

(١) ينظر: الخصائص ١٢١/٣

(٢) السابق ١٢٩،١٣٠

(٣) السابق ٣/ ١٥٤

(٤) راجع الأشعار الواردة في الخصائص ٣/ ١٢١ـ ١٢٤

يقول د. عبد العزيز علام:" إن التغييرات اللغوية،والظواهر الصوتية يرجع الكثير منها إلى أسباب سيكولوجية،كظاهرة الحذف والإدغام والتقصير والتطويل أو (المطل) والاختلاس والقلب والإبدال "(١)

ويقول أيضاً:" والنفس البشرية تؤثر في اللغة، ومن مظاهر التأثير عكس التيارات النفسية، والخبرات الفردية، والعواطف والانفعالات، على اللغة المنطوقة، ومن ثم فإنه يمكننا قراءة نفسية المتكلم بعواطفه وانفعالاته، ومواقفه من الحب والكره، والرضى والغضب، والفرح والحزن، والتأييد والرفض، من خلال كلامه، وبواسطة عباراته وجمله "(٢)

وما ذهب إليه ابن جنى قد نادى به " هومبلدت " في القرن التاسع عشر بنظرية (الصيغة الداخلية للكلمة): التي لا يعنى بها الشكل الخارجي للغة بل ينظر فيها إلى التركيب السيكولوجي للمتكلمين الذي يعتمد عليه التنظيم الفعلي للأصوات مع الخصائص المعنوية للغة المتكلمين.

فهو مبلدت نادى في الساحة اللغوية باتجاه جديد وهو دراسة اللغة من واقع ارتباطها بالنفس البشرية سواء المتكلم أو السامع، من حيث عقليتهما ومستواهما الفكري، وواقعهما النفسي، وتجاربهما وخبراتهما، وهذا ما قامت به المدرسة السلوكية الأمريكية في الدراسات اللغوية، ويتمثل ذلك المحور في فرع من فروع اللغة هو: علم اللغة النفسي،أو علم النفس اللغوي "(٣)

وهكذا رأينا ذلك العالم اللغوي الفذّ، الذي هضم علوم السابقين، وسبر غورها، فحذق علوم النحو، والصرف، والأصوات، وعلم الدلالة، ولدراساته شرف السبق فيما يتغنى به الرُّواد الغربيون من قضايا لغوية متنوعة.

---

(١) ينظر: في علم اللغة العام ٢٨٤

(٢) السابق ١٧١

(٣) السابق ٢٨٤ـ ٢٨٥

المبحث الرابع
قضايا نحوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النحوالتحويلي والتوليدي.

يقول تشومسكي:" قد وضعت نظرية النحو التحويلي مجموعة من القواعد وهي: الحذف، وقواعد الإحلال، والاستبدال، وقواعد التوسع أو التمديد، وقواعد الاختصار، وقواعد الزيادة أو الإضافة، وقواعد إعادة الترتيب"(١)

فعناصر التحويل التي ذكرها تشومسكي تنقل الجملة من المعنى السطحي إلى المعنى العميق (٢)، فالمعنى يكون في بنيتها التحتية، أما الشكل فإنه يتحقق في تركيبها السطحي (٣)

ولقد نصَّ الجرجاني على معنى التحويل والتوليد عندما بيَّن أن " المعاني (النحوية) مثل سبيل الأصباغ (الألوان) التي تعمل منها الصور والنقوش، واختلاف نظرة القارئ لهذه الألوان " (٤)، كما نص الجرجاني على أهمية المعنى ودوره في تشكيل التراكيب، فنجده يقول:

---

(١) ينظر: قواعد تحويلية للغة العربية للخولي محمد علي ص٢١ وما بعدها ط الأولى ١٩٨١م، دار المريخ للنشر

(٢) وهي من المصطلحات التي استحدثها تشومسكي في نظريته ينظر: نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم د. مختار درقاوي الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب / قسم الآداب والفلسفة العدد ١٣ جانفي ٢٠١٥ م ص ٩

(٣) ينظر: البنية التحتية بين عبد القاهر وتشومسكي د. خليل العمايرة ص٩٠، مجلة الأقلام،بغداد ع ١

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ٤٥٤

" إن النظم ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني في نفسك ثم تحذو ترتيبها الألفاظ في نطقك " (١)

ويقول أبو ديب عن البنية العميقة والسطحية لدى الجرجاني وتشومسكي:" وربما كان توع التحليل الذي أتى به الجرجاني في هذا الفصل أول، بل أفضل تحليل في اللغة العربية لـ " البنية السطحية " (المُنْجَزة) " و "البنية العميقة (الشَّجَرية).....ولتوضيح الفرق بين البنيتين فقد أعاد الجرجاني صياغة كل واحدة منهما بالطريقة نفسها التي يستعملها تشومسكي الآن من أجل الكشف عن البنى العميقة للتركيبات التركيبية المماثلة " (٢).

والواقع أن تشومسكي لم يأتِ بالمنهج وليد الصدفة؛ إنما نتيجة للاطِّلاع الكبير على المناهج اللغوية قبله وآراء العلماء المهمة، كما أنه اطَّلع وتأثر بعلوم اللغة العربية،ولا سيما دراسته لنحو سيبويه على حد تعبيره،.فمن يقرأ في كتاب سيبويه ويتعامل مع أبوابه، وقضاياه اللغويه يجد أن سيبويه قد تعامل بمفاهيم المنهج التحويلي من دون ذكر المصطلحات نفسها التي عرفناها في القرن العشرين.

فلقد ذكر سيبويه أن العرب " يغيرون الأكثر في كلامهم " (٣) ويقول ايضاً:

" واعلم أن العرب يستخفّون فيحذفون التنوين والنون؛ ولا يتغيرُ من المعنى "(٤)

(١) ينظر: السابق نفسه

(٢) Ab Deep, Kamal, AL- JUrjanis theory of poetic Imagery and its Background, ph.D,Thesis,Oxford- University,England,١٩٧. نظريةالجرجاني عن التخييل

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه ٢/ ٢٠٨

(٤) السابق ١/ ١٦٥

فسيبويه يوجه ظاهرة الحذف في قوله تعالى **(واسأل القريةَ)** يوسف آية ٨٢ توجيهاً يشبه إلى حدّ بعيد النظرة التحويلية فيقول:" إنما يريد أهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا " [١]

كما أن ظاهرة الرتبة (التقديم والتأخير) يعد من عناصر التحويل وظاهرة أسلوبية تستدعي الانتباه،والميل النفسي إلى الأمر الذي يريده المتكلم، ويعد سيبويه ـ من العرب ــ أول من وجه الانتباه إلى أهمية التقديم والتأخير، وبين غرضه البلاغي، فهو يقرر ان التقديم ضرب من العناية والاهتمام:" كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهو ببيانه أعنى، وإن كان جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"[٢]، كما جاءت نظرة عبد القاهر الجرجاني ـ أيضاً ـ لتؤكد نظرة سيبويه في أهمية التقديم والتأخير، فنجده يقول:" هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن،واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضب بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف إليك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"[٣]

وسبق الخليل بن أحمد إلى تقرير فكرة العلاقة بين القدرة الكامنة والاداء اللغوي بقوله:" إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها ". [٤]، والتفريق بين البنية السطحية والبنية العميقة التي تناولها تشومسكي وزملاؤه، قد تناولها اللغوي سيبويه لكن دون أن يصرّح بذلك فيقول:" ومما جاء على اتّساع الكلام، والاختصار قوله تعالى (بل مَكْرُ اللَّيلِ والنَّهَارِ) سبأ آية ٣٣،وإنما المعنى: بل مَكْرُكُم في الليل

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ١/ ٢١٢
(٢) ينظر: الكتاب ١/ ٣٤
(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ص٨٣
(٤) ينظر: الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي ص٦٦

والنهار....." [١]، وواضح مما سبق أن تشومسكي وإن كان يُعَدُّ صاحب ثورة لسانية في علم اللغة الحديث بهذه النظرية، إلا أنه اعترف بتأثره بالنحو العربي، يقول الوعر:" إنه لا غرابة أن نرى عالماً لسانياً أمريكياً معاصراً هو" نعوم تشومسكي" يقف وقفة دهشة وعجب من التراث العربي اللغوي (النحوي والدلالي) عندما قرأ وعلَّق على عمل لساني كنت تقدمتُ به كرسالة للدكتوراة، ففي رسالة بعثها إليَّ في ٢٦ نيسان ١٩٨٢ قال فيه:".....لقد دهشت بشكل خاص من تلك التعليقات اللغوية التي وردت في ثنايا هذه الدراسة،والتي كان قد قالها العربُ، وإن هذا وحده يجعل هذه الدراسة إسهاماً قيماً جداً لتطوير الدراسات اللسانية الغربية ".[٢]

كما علَّق تشومسكي على رسالة دكتوراة الباحث د. أحمد المتوكل (أستاذ الدلاليات الحديثة في قسم اللغة الفرنسية)، "بأن ما قاله العرب القدماء في حقل الدلاليات يعدُّ فكراً فلسفياً عميقاً لا بد من الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر"[٣]

❁❁❁❁❁

المطلب الثاني:نظرية العامل النحوي

نظرية العامل النحوي تُعَدُّ الركيزة الأساس في دراسة علم النحو، ويعدا الخليل بن أحمد، وسيبويه من اللغويين العرب الذين مثلا الفهم الصحيح لهذا الفكر وهذه الدراسة ولعلَّ هذا الفهم كان نابعاً من إدراكهما لخصوصية اللغة، ولقد استحكمت هذه النظرية على أصول النحو،وأبوابه وتقسيماته منذ نشأته، وإن كانت في بدايتها يسيرة غير مكتملة الأصول، ولا منتظمة الملامح؛ حيث ذكر سيبويه في

(١) ينظر: الكتاب ٢١٢/١

(٢) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مدخل لمازن الوعر ص ٣٥٩ــ ٣٦١ ط الأولى ١٩٨٨م دمشق دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر

(٣) السابق نفسه

مقدمة كتابه على انه يأخذ بهذه النظرية، بل ويوجه الكثير من الأبواب النحوية بموجبها فيقول:" وهي تجري على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف..... وإنما ذكرت لك ثمانيةَ مجارٍ لِأُ فرِّقَ بين ما يدخلُهُ ضربٌ من هذه الأربعة لما يحدثُه فيه العامل ـ وليس شئٌ منها إلا وهو يزول عنه ـ وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، والتي لكل عامل منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرب حرف الإعراب "(١)

العامل عنده عنصر بناء وتكوين (تكوين الجملة نحوياً) يقول سيبويه:"..هذا باب ما يكون فيه الإسم مبنياً على الفعل، قُدِّمَ أو أُخِّرَ وما يكون فيه الفعل مبنياً على الإسم عليه قلت:" ضربت زيداً " وهو الحد؛ لأنك تريد أن تعمله وتحمل عليه الإسم " (٢)

وقال في موضع آخر:" هذا باب الأمر والنهي، والأمر والنهي يختار فيهما النصب في الإسم الذي يبني عليه الفعل، ويبني على الفعل " (٣)

والحقيقة " أن إبقاء فكرة العمل النحوي في التراكيب اللغوية هي دعامة أساسية في الدراسة اللغويَّة التحويليَّة عند المعاصرين " (٤)

ولقد خصص ـ أيضاً ـ أبو علي الفارسي كتاباً أسماه (العوامل ومختصره) وعبد القاهر الجرجاني مصنّفاً عنونه بـ " العوامل المائة "، بل إن توجيهاته اللغوية في دلائل الإعجاز وغيره حين حديثه عن المسند والمسند إليه، والمبتدأ والخبر، والجملة المنسوخة بإن وكان،والفعل والفاعل والمفعول، والتقديم والتأخير، وغيرها

(١) ينظر: الكتاب ١٣/١
(٢) ينظر: السابق ٨٠/١
(٣) ينظر: الكتاب ١/ ١٣٧
(٤) ينظر: ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين د. البدراوي زهران ص مطابع الطوبجي التجارية ط الثالثة ١٩٩٦م.

من الظواهر اللغوية ما هذا كله إلا بتأثير العامل. كما دوّن لغويو العرب شروطاً وأحكاماً هي عندهم فلسفة النحو، وسر العربية. (١)

ولقد تأثر اللغويون المحدثون من الغرب من أمثال " تشومسكي " ـ رائد مدرسة النحو التحويلي ـ بهذه الظاهرة اللغوية الذي تنطلق نظرية ربط العامل عنده من منطلقين أساسيين هما: الأثر، والمضمر، حيث يرى " تشومسكي أن نظرية العامل والربط السياقي تمثل ذروة ما توصلت إليه النظرية من اكتمال (٢)، ومفهوم العامل النحوي احتلَّ مكانة في المنهج التحويلي، بل نجد تعبيرات التحويليين لا تختلف عن تعبيرات نحاة العربية عن فكرة التاثير والتأثر.

فتشومسكي اعتمد في التحليل اللغوي الربط العاملي(GB) وهو " من أهم مرتكزات التفسير في نظرية النحو الكلي، وهي تنطلق من منطلقين: الأول ضرورة وجود أثر (Trace) للعامل في الجملة. والثاني: ضرورة فصل المعاني الملبسة بتحديد مجال تحكم كل عامل " (٣) كما يؤمن " تشومسكي " بأن أي لغة بشرية طبيعية تخضع لنظام دقيق يختفي وراء قواعدها في النحو والصرف، فتفسير اللغة سعي للبحث عن السِّر الذي يجعل القاعدة النحوية صحيحة منتجة لعدد لا نهائي من التطبيقات. وهذا ما يؤمن به النُّحاة العرب عموماً عندما يطلبون الحكمة في القواعد التي وضعوها للنحو العربي، ويؤمن تشومسكي ـ

(١) ينظر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر د. أحمد مختار عمر ص ١٤٧ ط السادسة عالم الكتب ١٩٨٨م

(٢) ينظر: قواعد تحويلية للغة العربية د. محمد علي الخولي ص٤٠ دار المريخ. الرياض ط الأولى ١٩٨١م

(٣) ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين لـ حسن الملخ ص٢٣٨ ط الأولى،عمان دار الشروق

أيضاً ـ بأن تناول المادة اللغوية بالوصف والتصنيف لا يمكن أن يكون موازياً لحقيقتها في العقل [١]

ومن نافلة القول أن مدرسة النحو التحويلي التي تُعَدُّ أشهر مدارس علم اللغة الحديث تجعل ـ على لسان زعيمها تشومسكي ـ نظرية العامل أحدث مبادئ التي يقوم عليها المنهج التحويلي، وأطلق عليها لأول مرة مصطلح Government في كتابه " Lectures on Government and Binding" أي قراءات في(العامل والرابط) [٢]

(١) ينظر: السابق ص ٢٣٧

(٢) ينظر: أصول تراثية في علم اللغة د. كريم زكي حسام الدين ص٢٥٩، والنحو العربي والدرس الحديث د. عيده الراجحي ص١٤٧،دار النهضة العربية، بيروت سنة ١٩٧٩م

الخاتمة

وبعد..... فهذه محاولة موضوعية استقرائية للتقريب بين التراث اللغوي العربي والفكر اللغوي الحديث؛ وذلك بإبراز جهود اللغويين العرب القدامى في مجال الدراسات اللغوية الحديثة، وقد ثبت لنا ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن هذه القضايا وغيرها قد نالت عند العرب اهتماماً كبيراً.

ومن جملة النتائج التي توصلت إليها:

ـ أن العقل العربي حارس كل ألوان الاجتهاد، وأنواعه، وبعض هذه الاجتهادات كانت حريَّة بالتطوير والإثراء، وليس التجاهل والاحتقار. (١)

ـ أننا أظهرنا بشكل ملموس ما يتمتع به الفكر اللغوي العربي من ثراء يتيح لنا أن نحدد أثره ودوره في إثراء الفكر اللغوي في العالم.

ـ أن النحو العربي بدا وكأنه يتشابه مع كثير من المدارس اللسانية الحديثة لا المدرسة التوليدية وحسب (٢)

ـ أن كل معطيات علم اللغة في ضوء الدراسات الحديثة لم تكن فتحاً جديداً، وأنه يجب ألا تكون كذلك بالنسبة للمثقف العربي لو أنه في حماسة لكل حديث،وانبهاره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي (٣)

---

(١) ينظر: المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة ص ٢٤٧ ط عالم المعرفة الكويت سنة ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث لـ نهاد الموسى ص ٢٩ بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م

(٣) السابق ص ٢٥٧

ـ أن سيبويه قدَّم نموذجاً من التحليل البنيوي لم يعرفه الغرب حتى في القرن العشرين، كما أقرَّ بذلك الباحث (مايكل كارتر) الأسترالي:".. بأنه لو ولد سيبويه في عصرنا هذا لتبوّأ منزلة وسطاً بين دي سوسير وبلومفيلد "(١)

ـ أن الدلالة الاجتماعية أو السياقية، قد عرفنا عناصرها ومقولاتها عند فيرث، ووجدنا عند ابن جني،والجرجاني كلاماً يناظرها مما يثبت أصالتهما في السياق.

ـ أن القول بالدلالة الذاتية و القيمة التعبيرية للصوت والتي نادى بها "بوز" ـ الفيلسوف الهولندي ـ قدسبق القول به ابن جني،؛ حيث أثبت أن لكل صوت في العربية دلالة ذاتية،وقيمة تعبيرية بما يجعل لها القدرة على توجيه معنى الكلمة وجهة معيّنة.

ـ أن تشومسكي لم يأت بجديد في مجال علم اللغة النفسي، وإنما الفضل والريادة هي للعلماء العرب القدامى،وعلى راسهم عبد القاهر الجرجاني (٢).

ـ أن ابن جني يعد ممن سبقوا الغرب في وضع جذور العلم الحديث الذي ضجت به الساحة التدريبية في عصرنا الحاضروهو أثر الصوت ونغمته على التعبير.

ـ أنه لا تعارض بين التراث والمعاصرة، وأن كليهما يكمل الآخر.

ـ تأثر اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي سواء بوسائل مباشرة،كالطِّلاع على التراث اللغوي العربي باللغة العربية، أم غير مباشرة،عن طريق ترجمة كتب اللغة والبلاغة والنحو إلى لغات أجنبية كثيرة؛ وخاصة الألمانية (٣)

ومن ذلك مقال للباحثة " كريستيفيا " أشارت فيه إلى دور النُّحاة واللغويين العرب في إثراء الحركة اللغوية،وإسهامهم في بحوثها،وخاصة ما يتعلق بالنحو العربي تقول:".. فإن الناظر في المصنّفات والكتب اللغويّة المتداولة بين المشتغلين

(١) السابق ص ٤٠
(٢) ينظر: نظرية علم اللغة النفسي في التراث العربي لـ جاسم علي جاسم مخطوط
(٣) ينظر: صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات د. مازن الوعر مجلة التراث العربية

بالدّرس اللساني الحديث لايملك إلا أن يُسجِّل بكثير من الحسرةِ والاستياءِ؛ إغفال أصحاب المصنّفات الحركة اللغويّة التي قام بها اللغويون العرب،والنُّحاةُ العرب القدامى "،كما نجدها تعبر عن إسهامات اللغويين العرب القدامى في مجال الدراسات اللغوية في كتابها Le grammaire arabe " النحو العربي " (ص١٢٩– ١٣٤) فتقول:

" يتبوأ النحو العربي مكانةً هامَّةً في صُلْب مُكتسبات التَّفكير حول اللُّغة في العصور الوسطى.... يقول المثل السائر:" إنَّ حكمة الرُّومان في ذهنهم، وحكمة الهنود في نزواتهم، وحكمة اليونان في رُوحهم، أمَّا حكمة العرب ففي لسانهم "[١]

(١) ينظر: الدراسة التوليدية التحويلية لسيبويه أد. عبد الله أحمد جاد الكريم حسن ص١٢٩: ١٣٤

ثبت بأهم مصادر البحث

أولاً: المصادر العربية:

ـ ابن جني النحوي د. فاضل صالح السامرائي طبع بمطابع دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٣٨٩هـ
ـ أسباب حدوث الحرف لابن سيناء القاهرة ١٣٥٢ هـ
ـ الاشتقاق لابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي) تحقيق وشرح عبد السلام هارون مؤسسة الخانجي بمصر مطبعة الرسالة المحمدية سنة ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨ م.
ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط الأولى ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥ م بالمكتبة التجارية مطبعة السعادة مصر.
ـ البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر د. أحمد مختار عمر ط السادسة عالم الكتب ١٩٨٨م
ـ البيان والتبيين للجاحظ (أبو عمرو عثمان بن بحر) تحقيق عبد السلام هارون ط الرابعة القاهرة ١٩٧٥ م.
ـ التكملة (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي) تحقيق حسن شاذلي فرهود ط الأولى سنة ١٩٨١ م الرياض
ـ تهذيب اللغة للأزهري (محمد بن أحمد الهروي) تحقيق أحمد عبد العليم البردوني مراجعة علي البجاوي الدار المصرية للتأليف والترجمة.
ـ تهذيب المقدمة (عبد العلايلي) قلم د. أسعد علي ط الأولى سنة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨ م دار النعمان لبنان.
ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لمتز آدم ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده ط الرابعة سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م دار الكتاب العربي بيروت.

ـ الحيوان للجاحظ (أبو عمرو عثمان بن بحر) تحقيق عبد السلام هارون ط الأولى سنة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨ م مكتبة وطبعة البابي الحلبي مصر.
ـ الخصائص لابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني) تحقيق محمد علي النجار ١٣٧١هـ = ١٩٥٢ م.
ـ الدراسة التوليدية التحويلية لسيبويه أد. عبد الله أحمد جاد الكريم حسن سنة النشر ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م
ـ دراسات في علم اللغة د. كمال بشر نشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة سنة ١٩٩٨م.
ـ دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي المقارن د. صلاح الدين صالح حسنين دار العلوم للطباعة والنشر ط الأولى سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٨ م.
ـ دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح ط الثانية منشورات المكتبة الأهلية بيروت.
ـ دروس في الألسنية العامة لـ دي سوسير إشراف صالح الفرماوي الدار العربية للكتاب سنة ١٩٥٨ م.
ـ دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات ط الثانية عالم الكتب القاهرة سنة ١٩٦٧ م
ـ الدلالة اللغوية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد دار الضياء الأردن.
ـ دور الكلمة في اللغة لـ (استيفن أولمان) ترجمة د. كمال بشر القاهرة سنة ١٩٦٢ م ط الثانية.
ـ ديوان الحطيئة تحقيق نعمان أمين طه القاهرة سنة ١٩٥٨م.
ـ ديوان طرفة بن العبد تحقيق وشرح درية الخطيب، ولطفي الصقال دمشق سنة. ١٩٧٥ م
ـ الساق على الساق فيما هو الفارياق للشدياق (أحمد فارس) المكتبة التجارية مطبعة الفنون الوطنية مصر بلا تاريخ
ـ سر صناعة الإعراب لابن جني (أبو فتح عثمان) تحقيق د. حسن هنداوي ط الأولى دار القلم دمشق.
ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ط الثانية الخانجي سنة ١٩٩٤ م

ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا مطبعة المؤيد، المكتبة السلفية القاهرة سنة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠ م.
ـ الصناعتين لابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل - تعليق محمد أمين الخانجي ط الثانية طبعة محمد علي صبيح.
- ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين د. البدراوي زهران مطابع الطوبجي التجارية ط الثالثة ١٩٩٦م.
ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي - تحقيق أحمد أمين وآخرين القاهرة سنة ١٩٤٨هـ = ١٩٥٣م.
ـ علم اللغة العام لـ دي سوسير نرجمة يوئيل يوسف عزيز الموصل سنة ١٩٩٨م
ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران دار النهضة.
ـ فلسفة اللغة العربية د. عثمان أمين الدار المصرية للتأليف والترجمة المكتبة الثقافية ١٤٤ القاهرة سنة ١٩٦٥م.
ـ الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لـ جورجي زيدان مراجعة د. مراد كامل دار الهلال.
ـ في علم اللغة العام د. عبد العزيز علام دار كنوز المعرفة ط الأولى ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤ م.
ـ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ
- ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مدخل لمازن الوعر ط الأولى ١٩٨٨م دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر
ـ قضايا لغوية د. كمال بشر القاهرة سنة ١٩٦٣ م.
- قواعد تحويلية للغة العربية د. محمد علي الخولي دار المريخ. الرياض ط الأولى ١٩٨١م
ـ الكتاب لسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر) ط الأولى ١٣١٧هـ المطبعة الأميرية بولاق.

ـ لسان العرب لابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأفريقي) ط الأولى المطبعة الأميرية بولاق ١٣٠٠هـ.
ـ لغات البشر لـ ماريوباي
ـ اللغة لـ فندريس (جوزيف) تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٠م.
ـ اللغة بين المعيارية والوصفية د. تمام حسان دار الثقافة المغرب.
ـ اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ط دار الثقافة ١٩٩٤م.
ـ اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين د. نادية رمضان نجار
ـ اللمع في العربية لابن جني (أو الفتح عثمان) تحقيق د. حسين محمد شرف ط الأولى ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ضياء محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة الحلبي مصر سنة ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩ م.
ـ محاضرات في اللغة د. عبد الرحمن أيوب مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٦٦م
ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني – تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح شلبي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٦٩م مكتبة الخانجي القاهرة
ـ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه مكتبة المتنبي القاهرة.
ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د. رمضان عبد التواب ط الثالثة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
ـ المرايا المقعرة عبد العزيز حمودة ط عالم المعرفة الكويت سنة ٢٠٠١ م.
ـ المرجع الأكيد في لغة الجسد لآلان وبابارا بييز، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط الثانية ٢٠٠٨ م.
ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين) تحقيق محمد أحمد جاد المولى،

وعلي محمدة البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم دار إحياء العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بلا تاريخ.
ـ المعنى اللغوي (دراسة نظرية وتطبيقية) د. محمد حسن جبل طنطا سنة ١٩٨٦م
ـ مقدمة ابن خلدون تحقيق عبد الواحد وافي ط الثانية القاهرة ١٩٦٧م
ـ مقدمة لدراسة علم اللغة د. حلمي خليل ط - دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩م.
ـ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي (أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى) تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م.
ـ النحو العربي والدرس الحديث د. عيده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت سنة ١٩٧٩م
ـ نشأة اللغة الإنسانية وقضايا لغوية د. كمال بشر القاهرة ١٩٦٣م
ـ نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم د. مختار درقاوي،الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب / قسم الآداب والفلسفة العدد ١٣ حانقي سنة ٢٠١٥ م.
ـ نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين لـ حسن الملخ ، ط الأولى،عمان، دار الشروق.
ـ نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث نهاد الموسى بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
ـ نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق محمد عيسى منون ط الأولى ،المطبعة المليحية، سنة ١٣٥٢هـ = ١٩٣٤م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

–Non- Instinctive.
–Acquired.
–Systeme de signes
–Sommerfelt ;op.cit
–Fi scher , Farb undformb. ,S. ٢٤

–J. Lyons: Semantics، Volume ٢: P ٦٠٩، Cambridge University PRESS، London، First Published ١٩٧٧

Janssen ,Hand b. der. Ling. S.٢٢٩

—R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. ٢١٣ Longman's Linguistics *Library، Green and Co LTD. Second impression* ١٩٦٩.

——J. R. Firth: Papers in Linguistics. P. ١٨٤، London، Oxford University PRESS ، Amen House

First edition ١٩٥٧، Reprinted ١٩٥٨، ١٩٦١ and ١٩٦٤.

Herbert: collected Essays in literary

Criticism,٢nd ed Faber and Faber,London, ١٩٥٠: P,٤٥

–Otto Jespersen: language, its Nature, Development and Origin, P.٣٩٦–٣٩٧

. -Ab Deep, Kamal, AL– JUrjanis theory of poetic Imagery and its Background,

ph.D,Thesis,Oxford– University,England,١٩٧.

ثالثاً: الدوريات:

. البنية التحتية بين عبد القاهر وتشومسكي د. خليل العمايرة مجلة الأقلام بغداد ع ١

ـ صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات د. مازن الوعر مجلة التراث العربية

ـ ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة د. أحمد نصيف الجنابي مجلة المجمع العلمي العراقي محرم ١٤٠٥ هـ = تشرين الأول سنة ١٩٨٤م مج ٣٥.

ـ نظرية الصرف العربي (دراسة في المفهوم والمنهج) د. عبد العزيز عبدالدايم مجلة النشر العلمي جامعة الكويت ١٩٨٦ م حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الحولية الحادية والعشرون ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م

رابعاً: الرسائل العلمية:

ـ أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته (دراسة نصية من القرآن) د. فتحي ثابت علم الدين رسالة دكتوراة بكلية الدراسات العربية والإسلامية بالمنيا ١٩٩٤م.

خامساً: المخطوطات :

نظرية علم اللغة النفسي في التراث العربي لـ جاسم علي جاسم مخطوط